

نؤمن بالله

كيفية مشابهة الله لنا

الدرس الثالث

نص الدرس

 **thirdmill**

تعليمٌ كتابيٌّ للعالم. مجانًا.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائلٍ إعلاميةٍ متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتَج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنْتَج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

- I . المقدمة
- II . الأسس الكتابية
- أ. الاستراتيجيات الرئيسية
1. طريقة التباين
2. طريقة السببية
3. طريقة التسامي
- ب. وجهات النظر عن البشرية
- III . وجهات النظر اللاهوتية
- أ. الإجراءات
1. المصطلحات التقنية
2. التصريحات اللاهوتية
- ب. الوثائق التاريخية
1. إقرار إيمان أوجسبرج
2. إقرار الإيمان البلجيكي
3. دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز
- ج. الترتيب
- د. التطبيقات
1. التوقعات من الله
2. الاقتداء بالله
- IV . الخاتمة

نؤمن بالله

الدرس الثالث

كيفية مشابهة الله لنا

المقدمة

تَحْكِي قصةً عن باحث ومعلم مرموق في الرياضيات. تجاوزتُ كتبه ومحاضراته مستوى ذكاء الرجل العادي، وعلى الأغلب تجاوزتُ أيضًا مستوى ذكاء أكثر تلاميذه تقدمًا. لكن يومًا ما، تغيرَ صيت هذا الأستاذ صاحب الشهرة العالمية. فقد قضى عدد من الطلبة المغتربين عطلة عيد الميلاد المجيد معه ومع عائلته، فرأوا جانبًا من حياته لم يتصوّروه مطلقًا. كان هذا الأستاذ صاحب المعرفة الواسعة محاطًا بأحفاده وضيوفه، وجلس على الأرض، يلعب بسعادة ألعابًا مخصصة لأطفال في سن الرابعة والخامسة. وفي اليوم التالي قال عنه التلاميذ: "كان من الصعب تصديق أن شخصًا كهذا يمكن أن يكون مثلنا بهذه الصورة".

من عدة جوانب، تُعَلِّم الأسفار المقدسة نفس الشيء عن الله. فهي توضح أن الله يسمو فوق خليقته، هو يختلف عنها تمام الاختلاف. لكنها أيضًا تقدّم الكثير من أوجه التشابه بين الله والخليعة. وبقدرِ صعوبة فهم هذا الأمر، إلا أن الكتاب المقدس يُعلّم أن الله يشابهنا أيضًا. هذا هو الدرس الثالث في سلسلتنا بعنوان **نؤمن بالله**، وقد وضعنا له عنوان: "كيفية مشابهة الله لنا". في هذا الدرس، سننظرُ إلى ما اعتاد علماء اللاهوت أن يُطلقوا عليه صفاتِ الله القابلة للمشاركة، أي النواحي التي فيها يتشابهُ الله مع خليقته. قمنا فيما سبق في هذه السلسلة بتعريف صفاتِ الله على أنها:

كمالات جوهر الله المُعلنة من خلال مظاهرٍ تاريخيةٍ متنوعة.

كما نتذكّر، اعتاد علماء اللاهوت الإنجيليون تقسيم صفاتِ الله إلى قسمين. صفاتِ الله غير القابلة للمشاركة، وهي كمالات جوهره التي تجعله مختلفًا تمام الاختلاف عن خليقته. وصفاتِ الله القابلة للمشاركة، وهي كمالات جوهره التي تُشبه صفاتِ ما في خليقته. في هذا الدرس، سنسلطُ الضوء على القسم الثاني من الكمالات الإلهية، أي صفاتِ الله القابلة للمشاركة.

سنتنقّم دراستنا لموضوع "كيفية مشابهة الله لنا" إلى جزئين رئيسيين. أولاً، سنستعرضُ الأسس الكتابية للبحث في هذا الجانب من عقيدة الله. وثانياً، وجهات النظر اللاهوتية التي تبناها علماء اللاهوت النظامي الإنجيليون بشأن صفات الله القابلة للمشاركة. لنبدأ بموضوع الأسس الكتابية للبحث في هذا الموضوع.

الأسس الكتابية

بسبب محدودياتنا كبشر، نواجه أغازاً لا حصر لها أثناء بحثنا فيما يُعلّمه الكتاب المقدس عن الله. وينطبق هذا أيضاً على تناؤلنا لصفات الله القابلة للمشاركة. تعلّمنا في هذه السلسلة أن الله يختلف تماماً عن خليقته، ليس فقط في بعض كمالاته، بل في جميعها. لكن في نفس الوقت، كل من هو على دراية بالكتاب المقدس يعلم أنه عادةً ما يصف الله وخليقته وكأنهما متشابهان للغاية. فمصطلحات مثل "قدوس"، "عادل"، "بار"، "صالح"، "أمين"، "محب"، و"قوي" تنطبق على الله وعلى جوانب مختلفة من الخليقة. ولذلك، وبقدر صعوبة فهمنا لكيفية توافق هذين المنظورين معاً، يدعونا الإيمان الكتابي إلى التأكيد على اختلاف الله عن خليقته وأيضاً على مشابهته لها. يمكننا أن نُوجزَ الأسس الكتابية لدراسة صفات الله القابلة للمشاركة بعدة طرائق. لكن لأجل أغراضنا، سننظر في اتجاهين فقط. أولاً، سنذكرُ ثلاث استراتيجيات رئيسية اتبعتها كتبة الكتاب المقدس في تناؤلهم لهذا الموضوع. وثانياً، سنتناولُ وجهات النظر عن البشرية من الكتاب المقدس، تلك التي تُعدُّ محوريةً لأجل معرفة أوجه التشابه بين الله والخليقة. وسنبداً الآن بذكر ثلاث استراتيجيات رئيسية اتبعتها كتبة الكتاب المقدس لتعليم مستمعهم عن الله.

استراتيجيات رئيسية

في درس سابق، ذكرنا أن علماء اللاهوت الأكاديميين في العصور الوسطى قاموا بالتركيز بشكل كبير على اللاهوت الطبيعي. فقد سعوا للتعلّم عن الله من خلال ملاحظة الطبيعة، دون اهتمام مباشر بالكتاب المقدس. وقد قاموا بوضع ثلاث استراتيجيات منهجية لتمييز الحقائق عن الله من خلال الطبيعة: "طريقة التباين" أو "via negationis" في اللغة اللاتينية؛ و"طريقة السببية" - أو "via causalitatis"؛ وأيضاً "طريقة التسامي" - أو "via eminentiae".

وطوال قرون، اتفق علماء اللاهوت البروتستانتيون معاً على إمكانية تعلّمنا الكثير عن الله من الطبيعة من خلال هذه الطرق. لكنهم سلّطوا الضوء أيضاً على حاجتنا للإرشاد بواسطة الإعلان الخاص الموجود في الكتاب المقدس. فإن الكتاب المقدس يُعدُّ بمثابة النظارة التي تُضفي وضوحاً على صورة ما أعلنه الله عن نفسه في الإعلان العام. كما كتب جون كالفن في مؤلّفه مبادئ الديانة المسيحية، الكتاب الأول، الفصل السادس، والفقرة الأولى:

كما أن أولئك الذين يعانون من ضعف النظر... يبدأون بمساعدة النظارات الطبية، في القراءة بوضوح؛ هكذا أيضاً الكتاب المقدس يُظهر لنا بوضوح من هو الإله الحقيقي، إذ يجمع المعرفة عن الله، والتي لولا هذا نزلت مُشوَّشةً في أذهاننا، ويُبددُ بلادةً فكرنا.

إنّ اللاهوت الطبيعي هو ما يُمكننا تعلّمه من الطبيعة. أمّا الإعلان الخاص فهو كيفية إعلان الله عن نفسه، ليس في الطبيعة، أو فينا، أو في العالم من حولنا، بل في الكتاب المقدس، وبصورة كاملة وتامة في المسيح، من خلال عمل روحه القدس. وهكذا يبدو أنّ الكتاب المقدس يخبرنا أنّ صفات الله غير المنظورة قد ظهرت بوضوح في العالم من حولنا، في الخليقة - كما جاء في رسالة رومية الأصحاح الأول، وفي المزمور الثامن. وهذا أمر واضح لمن لديهم أعين يبصرون بها. لكننا نحن عميان، وهكذا فإنّ ما فعله الله هو أنّه قد أعلن عن نفسه بطريقة خاصة ومحددة، وبصورة كاملة في المسيح على الصليب، كما تشهد كلمته، في العهدين القديم والجديد.

— د. جوش مودي

إنّ الإعلان العام موجود على الدوام. فحين تنظر إلى السماء، هذا هو الإعلان العام. وحين تنظر إلى الناموس الأخلاقي، فهذا هو الإعلان العام. وحين ترى الضمير عاملاً في البشر، فهذا هو الإعلان العام. وفي النهاية، الشيء الوحيد الذي يمكن للإعلان العام أن يقدمه للبشر هو العلم بوجود الله، وبأنه قدير، وسرمدي. لكن فقط من خلال الإعلان الخاص نستطيع أن ندرك أنّ هذا الإله

السرمدِيّ والقدير هو إلهٌ قدوسٌ، وبارٌّ، وصالحٌ، ومحَبٌّ، ورحيمٌ. فَفَهْمُ الإِعلانِ الخاصِّ يُشبهُ إيجادَ المِفْتاحِ الرئِيسِيّ، ثُمَّ استخدامَهُ لِفَكِّ شِفْرَةِ الإِعلانِ العامِّ، وحينئذٍ يصيرُ كلُّ شيءٍ واضحًا ومنظورًا.

— ق. د. ستيفن تونج

لشرح هذا الأمر قليلاً، سنتناولُ كيفيةَ تواجُدِ كلِّ من الاستراتيجياتِ الرئيسيةِ الثلاثةِ في الكتابِ المقدسِ. أولاً، سنمرُّ بإيجازٍ على طريقةِ التباينِ. وثانياً، سنتناولُ بأكثرِ تفصيلٍ طريقةَ السببيةِ. وثالثاً، سنذكرُ أهميةَ طريقةِ التساميِ. ولنبدأُ الآنَ من طريقةِ التباينِ.

طريقة التباين

باختصارٍ، تُعرَّفُ طريقةُ التباينِ على أنها استخلاصُ حقائقٍ عن الله من خلالٍ وضعِهِ في مقابلةٍ مع الخليفةِ. وقد أشارَ كاتبُ الكتابِ المقدسِ بصورةٍ متكررةٍ إلى التبايناتِ الموجودةِ بينَ الله وخليفتهِ - ليس من جهةِ الخطيةِ والشرِّ فحسبُ، بل أيضاً من جهةِ صفاتٍ صالحةٍ منحها الله لخليفتهِ. وكثيراً ما مجدوا الله بالإشارةِ إلى سُمُوهِ على جميعِ المُقارناتِ. ولهذا، يلفتُ هذا الاتجاهُ انتباهنا في الأساسِ إلى صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. لكنه في أثناءِ هذا، يُمهِّدُ الطريقَ لتركيزنا على صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ. ففي النهايةِ، لا يمكننا إدراكُ كيفيةِ مشابهةِ الله لنا دونَ أن ندركَ أولاً مدى اختلافِهِ التامِّ عنا. وهكذا، وعلى الرغمِ من تركيزِ هذا الدرسِ على صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ، لكن طريقةَ التباينِ في الكتابِ المقدسِ تذكرنا مراراً وتكراراً باللغزِ العظيمِ بأن جميعِ صفاتِ الله، بشكلٍ أو بآخر، هي صفاتٌ غيرُ قابلةٍ للمشاركةِ.

على خلافِ طريقةِ التباينِ، تُوجِّهُنا الاستراتيجيةُ الرئيسيةُ الثانيةُ، أي طريقةُ السببيةِ، بصورةَ رئيسيةٍ إلى صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ.

طريقة السببية

تُتيحُ لنا طريقةُ السببيةِ في الكتابِ المقدسِ إمكانيةً تمييزِ مدى مُشابهةِ الله لنا من خلالِ تشبيهِهِ بالأشياءِ الحسنةِ التي خلقها. فإنَّ الخبرةَ العامةَ تعلمنا أن اللوحةَ الفنيَّةَ تعكسُ مهاراتِ،

ومشاعر، وأفكار من رسمها. كما أن المقطوعة الموسيقية تعكس مواهب وتصورات من لحنها. ونتيجة لهذا، يمكننا تعلم الكثير عن الفنانين والملحنين من خلال دراسة أعمالهم. وقد قام كتبة الكتاب المقدس بالشيء ذاته من عدة نواحٍ، حين توصلوا إلى استنتاجاتٍ عن الله من خلال ملاحظتهم لمخلوقاته. فإذ علموا أن الله هو " العلة الأولى"، أو الخالق، قاموا باستخلاص ما لا بد أن يكون صحيحاً بشأنه عن طريق سردهم للصفات الحسنة التي وهبها لخليقته. تستخدم الأسفار المقدسة طريقةً سببيةً بطريقتين أساسيتين. الطريقة الأولى، هي عقد مقارناتٍ مباشرةً بين الله وخليقته. استمع، على سبيل المثال، إلى الوسيلة التي أتبع بها المزمور 94: هذه الاستراتيجية:

الغَارِسُ الْأُذُنِ أَلَا يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنِ أَلَا يُبْصِرُ؟ (مزمور 94: 9).

كما نرى هنا، لأنَّ الله هو "غارسُ الأذن" و"صانعُ العين"، فيمكننا أن نتيقن بهذا من أنَّ الله نفسه لديه القدرة على أن "يسمع" و"يبصر". أيُّ إلهٍ يخلُقُ جمالَ الأرضِ، سوى الله الذي هو نفسه جميلٌ؟ وأيُّ إلهٍ يخلُقُ الترتيبَ، سوى الله الذي هو نفسه إلهٌ ترتيبٌ؟ وأيُّ إلهٍ يمكنه أن يهبَ الحياةَ، سوى الإلهِ الحيِّ؟ فإنه لا حصرٌ للحقائق التي يمكننا تعلُّمها عن الله من خلال ملاحظة الأشياء الحسنة التي خلقها. بالإضافة إلى المقارناتِ المباشرةِ، استخدم كتبة الكتاب المقدس أيضاً طريقةً سببيةً حين عقدوا مقارناتٍ رمزيةً بين الله وخليقته. في بعض الأحيان، تضمنت هذه المقارناتُ الأشياءَ غيرَ العاقلة. على سبيل المثال، نقرأ في سفر إشعياء 10: 17 هذه الكلمات:

وَيَصِيرُ نُورٌ إِسْرَائِيلَ نَارًا وَقُدُوسُهُ لَهِيْبًا، فَيَحْرِقُ وَيَأْكُلُ ... فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ (إشعياء 10: 17).

كما يشير السياق الأكبر لهذا النص، كان الله عتيداً أن يقضي على إمبراطورية آشور. ولكي يفسر إشعياء كيفية حدوث هذا، أشار إلى الله مجازاً بأنه "نار"، و"لهيب"، سوف "يحرق ويأكل". ففي الأساس، استفاد إشعياء من أوجه التشابه بين قوة النار الآكلة، وقوة الله الآكلة. يكمن الفكر نفسه وراء زمورٍ وصورٍ أخرى عن الله، مثل تلك التي تظهر في المزمور 18: 2، حيث يقول كاتب المزمور:

الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي... إِلَهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلَاصِي وَمَلْجَأِي
(مزمور 18: 2).

وهنا نرى أن كاتب المزمور شبه الله بعدة أشياء قد خلقها: "صخرة" عظيمة، و"حصن"، و"ترس"، و"قرن" و"ملجأ". وقد فعل هذا للتعبير عن كيفية حماية الله وتأمينه له ضد أعدائه. أيضًا يشبه الكتاب المقدس الله بالكائنات الحية. على سبيل المثال، قال موسى في سفر التثنية 32: 10-11:

أَحَاطَ [الله] بِهِ [يعقوب] وَلَاحَظَهُ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عَشَّهُ وَعَلَى فِرَاحِهِ يَرِفُّ (مزمور
32: 10-11).

وبنفس الطريقة، يقول المزمور 91: 4:

بِخَوَافِيهِ [الله] يُظَلِّلُكَ، وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي (مزمور 91: 4).

تفترض هذه النصوص ونصوص كتابية عديدة أخرى وجود طرائق لا حصر لها يشير بها الكتاب المقدس إلى أوجه تشابه موجودة بين الله وخليقاته. وهذا المنظور الكتابي البارز يضع أساسًا لاستكشاف نواحي التشابه بين الله وخليقاته.

إن التشبيهات المجازية لازمة لفهم الله وصفاته. فليس باستطاعتنا إدراك الله. فهو ليس مجرد إنسان أسمى منّا. لكن الله هو الله. ولهذا، حين يتنازل الله ليعلن عن نفسه لنا، فهو لا يفعل هذا بطرق لا نستطيع فهمها أو إدراكها. لكن نعمة الله ورحمته تظهران في إعلان الله عن نفسه لنا، بطرق متصلة بالأشياء التي نستطيع فهمها. وهكذا فإن هذه الصور الرمزية والمجازية، أي هذه الأمثلة، والتشبيهات، والرموز، والمقارنات، هي الوسيلة الوحيدة التي يمكننا بها أن نبدأ في وضع أحجار البناء معًا لفهم من هو الله.
— د. فودي باكام، الابن.

بالإضافة إلى الاستراتيجيات الرئيسية من طريقة التباين وطريقة السببية، تؤكد الأسفار

المقدسة أيضًا على قيمة الاستراتيجية الثالثة المنتمية للعصور الوسطى: أي طريقة التسامي.

طريقة التسامي

إنَّ طريقةَ التسامي تعني طريقةَ "السُّمُو" أو "العظمة". يساعدنا هذا الاتجاهُ أيضًا على تحديد صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ من خلالِ عقدِ مقارناتٍ بينِ اللهِ وخليقتهِ. لكن هذه الاستراتيجية الثالثة مؤسسةٌ على وجهةِ النظرِ الكتابيةِ التي تقولُ إنَّ اللهَ، وإن كان مُشابهًا لخليقتهِ، لكنه دائمًا أسمى وأعلى وأعظمُ بكثيرٍ من أيِّ شيءٍ خلقه. كما قال بولسُ في 1 تيموثاوس 6: 15-16:

هُوَ السَّيِّدُ الْمُبَارَكُ الْأَوْحَدُ، مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ، الَّذِي وَحَدَهُ لَا فَنَاءَ لَهُ، السَّاكِنُ فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ. لَهُ الْكِرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبَدِيَّةُ (1 تيموثاوس 6: 15-16). [ترجمة كتاب الحياة].

بحديثِ بولسِ عنِ اللهِ باعتباره "سيدًا"، و"ملكًا"، و"ربًا"، أكَّدَ على أن اللهَ يُشبهُ الأسيادَ، والملوكَ، والأربابَ البشريينَ من عدةِ نواحٍ. لكن لاحظْ أيضًا كيف شدَّدَ بولسُ على سُمُو اللهِ فوق هؤلاءِ جميعهم. فهو "السيدُ الأوحدُ"، و"ملكُ الملوكِ"، و"ربُّ الأربابِ". فإن اللهَ وحدهُ لا فَنَاءَ لَهُ وَهُوَ وحدهُ السَّاكِنُ فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ.

في جميعِ الأسفارِ المقدسةِ، نجدُ أن اللهَ وهبَ خليقتهُ القوةَ، والتعقيدَ، والاتساعَ، والصلاحَ، والروعةَ، وما إلى ذلك. وفي هذه النواحي، ونواحٍ أخرى، تُوجدُ أوجهُ تشابهٍ بينِ اللهِ وخليقتهِ. لكن على الرغمِ من هذا، يُوضِّحُ الكتابُ المقدسُ باستمرارٍ أن قوةَ اللهِ، وتعقيدَهُ، واتساعَهُ، وصلاحَهُ، وروعتهُ أعظمُ بكثيرٍ، وتتجاوزُ ما يُوجدُ في الخليقةِ. ومن هذا المنطلقِ، تساعدنا طريقةُ التسامي في الكتابِ المقدسِ على أن نتذكَّرَ أن اللهَ يسمو فوقنا، وإن كان مشابهًا لنا.

وهكذا نرى أن كتابةَ الكتابِ المقدسِ اتَّبعوا هذه الاستراتيجياتِ الثلاثِ الكلاسيكيةِ جميعها لتمييزِ الحقائقِ عنِ اللهِ - طريقةَ التباينِ، وطريقةَ السببيةِ، وطريقةَ التسامي. وهذه الاستراتيجياتُ الرئيسيةُ تُشكِّلُ معًا أساسًا كتابيةً راسخةً لدراسةِ كيفيةِ مُشابهةِ اللهِ لخليقتهِ في اللاهوتِ النظاميِّ. بعد أن تناولنا الاستراتيجياتِ الرئيسيةَ الثلاثِ التي تساعدنا على ترسيخِ الأسسِ الكتابيةِ

للبحث في صفات الله القابلة للمشاركة، لا بد أن نتجه الآن إلى الكيفية التي بها تُعلنُ وجهات النظر المحورية عن البشرية في الكتاب المقدس أيضًا كيفية مشابهة الله لخليقته.

وجهات النظر عن البشرية

تشهد الأسفار المقدسة أن الخليقة بوجه عام تُشبه الله من عدة جوانب. ويمكننا أن نتعلم الكثير عن الله بالدراسة المُدققة لخليقته. لكن تشير هذه الأسفار أيضًا أنه يمكننا أن نتعلم أكثر عن الله بالتأمل بصورة خاصة في البشر. فقد منح الله البشر، أكثر من أي جزء آخر من الخليقة، شرف أن يكونوا أكثر مُشابهةً له. وهذا التشابه يضع أساسًا كتابيًا راسخًا لدراسة كمالات الله القابلة للمشاركة.

لقد زاد العلم الحديث من درايتنا بمدى اتساع الكون. وهكذا يصيرُ من السهل الحط من شأن البشر. فإننا لسنا سوى نقاطًا ضئيلة الحجم على كوكبنا. وهذا الكوكب لا يزيد عن كونه بقعة زرقاء في مجموعتنا الشمسية. كما أن هذه المجموعة الشمسية هي جزء ضئيل للغاية من مجرتنا. وتوجد مجرات فضائية ضخمة لا حصر لها في جميع أنحاء الكون. ولهذا السبب، قد يبدو أن البشر أقل بكثير من أن يسترعوا انتباهنا حين نرغب في التعلم عن الله. لكن بقدر ضاللتنا، إلا أن الكتاب المقدس يُعلم بأن البشر، في واقع الأمر، هم تاج خليقة الله. كما نقرأ في المزمور 8: 3-5:

إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلِ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ
حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبِهَاءٍ
تُكَلِّلُهُ. (مزمور 8: 3-5).

كما يخبرنا هذا النص، قد تبدو البشرية صغيرةً وعديمة الأهمية أمام السماوات. لكن على الرغم مما يبدو، فإن الله خلقنا بالفعل "قليلًا عن الملائكة" و"بمجدٍ وبهاءٍ كللنا". كما أوضح كاتب رسالة العبرانيين في رسالة العبرانيين 2: 5-9، حتى وجود البشرية في مرتبة أدنى من الملائكة هو أمرٌ وقتي. فحين يأتي المسيح ثانيةً في المجد، سيتمجد البشر الذين تبعوه فوق أسْمَى المخلوقات والكائنات الروحية. في سفر التكوين 1: 26، يُقرأ الكتاب المقدس لأول مرة بمكانة البشر الخاصة حين قال الله:

نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا (التكوين 1: 26).

وكما نرى هنا، فإن البشر، تميّزاً عن أيّ مخلوقٍ آخر، هم صورةُ الله وشبهه. يفوقُ النطاقُ الكاملُ لهذا التعليمِ الكتابيِّ عن البشريةِ مجالَ هذا الدرسِ. لكن من أجلِ أغراضنا هنا، سنذكرُ ببساطةٍ أن التعبيرين "صورة" و"شبه" يؤكدانِ على أن البشرَ يُشبهونَ اللهَ أكثرَ من أيّ جانبٍ آخرَ من الخليقةِ. فقد خلقَ اللهُ البشرَ كَشَبَهِهِ حتى يخدموهُ كممثلينَ عنه في رتبةٍ ملكيّةٍ وكهنوتيّةٍ، بأن يملأوا الأرضَ ويُخضعوها لأجلِ مجدِهِ. وفي البدء، كان أبوانا الأولانِ دونَ عيبٍ. ولكن لاحقاً، أفسدتِ الخطيئةُ والتمردُ على اللهِ كلَّ جانبٍ من جوانبِ الكيانِ البشريِّ. لكن نصوصاً مثلَ سفرِ التكوينِ 9: 6 ورسالةِ يعقوبِ 3: 9 تُشيرُ إلى أن البشرَ الخطاةَ والمتمردينَ لا يزالونَ في كرامةٍ كونهم صورةُ الله وشبهه. والأكثرُ من هذا، أن اللهَ يدعو الرجالَ والنساءَ الذين فداهمُ المسيحُ، مؤهلاً إياهم كي يرجعوا عن خطاياهم ويتجددوا ثانيةً إلى شبهه. كما نقرأ في رسالةِ أفسسَ 4: 22-24:

إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ... عَلِمْتُمْ فِيهِ ... أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ
الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ
الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي النِّبْرِ وَقِدَاسَةِ الْحَقِّ (أفسس 4: 22-24).

لأن البشرَ هم صورةُ الله وشبهه، فإن الأسفارَ المقدسةَ تُعلنُ كثيراً من هو الله من خلالِ تشبيهه بهم. ومن بعضِ الأمثلةِ على هذا أن نصوصاً مثلَ إنجيلِ متى 7: 11 تُشيرُ إلى الله بأنه أب، وتُشبهه بالآباءِ البشريين. وتُشبهه نصوصٌ مثلَ سفرِ إشعياء 5: 1-7 وإنجيلِ يوحنا 15: 1 الله بالكرام. كما يُوصفُ اللهُ بأنه ملكٌ في مواضعٍ مثلَ سفرِ العددِ 23: 21 ورسالةِ 1 تيموثاوس 1: 17. ويُشبهُ اللهُ بالراعي في مواضعٍ مثلَ سفرِ التكوينِ 48: 15 ورسالةِ العبرانيين 13: 20. ويُشبهُ اللهُ بالزوجِ في نصوصٍ مثلَ سفرِ إشعياء 54: 5، وهكذا تطولُ القائمةُ. بالطبعِ تُذكرُنا طريقةُ التسامي بأن الله يسمو على أيّ أب، أو كرام، أو ملك، أو راعٍ، أو زوجٍ من البشرِ. لكن هذه التشبيهاتِ وتشبيهاتٍ أخرى لا حصرَ لها تُظهرُ أننا يمكنُ أن نتعلّمَ الكثيرَ عن الله من خلالِ فهمنا للبشرِ.

هل من الممكن أن نكون على دراية بالله وبصفاته دون أن نحصل على الأقل على بعض المعرفة عن أنفسنا؟ والجواب هو أن كلا النوعين من المعرفة في حقيقة الأمر يتلازمان دائماً. ويجعل جون كالفن هذه الفكرة أمراً حيويًا في كتابه مبادئ الديانة المسيحية. ففي البداية نجد معرفة الله ومعرفة النفس. ومن دون معرفة الله، لا معرفة للنفس. فإننا خلقنا كي ننجذب له، وهكذا فإن معرفتنا به تقودنا إلى معرفة أنفسنا. ثم إن آية معرفة حقيقية لأنفسنا تُعدُّ أمراً حيويًا بالنسبة لمعرفةنا به أيضًا.

— د. ريتشارد فيليبس

على مدار تاريخ الكنيسة، تحدّث علماء اللاهوت المسيحيون عن نواحٍ مختلفة لمُشابهة البشر لله. لكنهم، بوجه عام، قاموا بالتركيز على ثلاث سماتٍ بشريّة رئيسيّة. وسوف نصرّف لاحقاً في هذا الدرس المزيد من الوقت في تناوُل هذه السمات، ولهذا سنقدّم في الوقت الحاليّ مجرد نظرة عامة على هذه السماتِ البشريّة الثلاث.

في المقام الأول، سلّط علماء اللاهوتِ الضوئ على ما تُعلمهُ الأسفار المقدسة عن السمة الفكرية للبشر. على الرغم من أن سقوطنا في الخطية قد أفسد أذهاننا، إلا أننا لا زلنا أسمى فكرياً من المخلوقات الأرضية الأخرى. بالتأكيد يُعدُّ فكرُ الله أعلى وأعظمَ من الفكرِ البشريّ بكثيرٍ، إلا أن إمكانياتنا الفكرية كمخلوقاتٍ لا زالت تجعلنا نتشابه مع الله. ويخبرنا الكتاب المقدس بطرائق كثيرة بأن الله يفكر، ويخطّط، ويعقلُ الأمور، مثلنا بدرجة كبيرة.

وفي المقام الثاني، سلّط علماء اللاهوتِ الضوئ كثيراً على السمة الإرادية للبشر، أي حقيقة أن الله وهبنا إرادة إنسانية. أيضاً نقولُ إن الخطية أفسدت الإرادة الإنسانية. لكن الله وهبنا إمكانية الاختيار، على خلاف الصخور أو أيّ شيءٍ آخر غير عاقلٍ. نعلم بالطبع أن إرادة الله أسمى من الإرادة الإنسانية بدرجة كبيرة، لكن قدرتنا على ممارسة إرادتنا لا تزال تجعلنا نتشابه مع الله.

في المقام الثالث، سلّط علماء اللاهوتِ الضوئ على السمة الأدبية للبشر باعتبارها ناحيةً أخرى من نواحي مشابهتنا لله. إن أفكارنا وخياراتنا، على خلاف أيّ مخلوقٍ ماديّ آخر، تحمل سماتٍ أدبية. وتُعدُّ السمة الأدبية لله كاملةً تماماً، وهكذا، فهي أسمى من أيّ شيءٍ يمكننا بلوغه على الإطلاق. لكن مع هذا، فإن البشر، مع الملائكة والشياطين، يتحملون مسؤولية السمات الأدبية

لاختياراتهم.

سنرى لاحقاً في هذا الدرس كيف أن تركيز الكتاب المقدس على هذه السمات البشرية الثلاث قد أرشد علماء اللاهوت النظامي إلى استكشاف صفات الله القابلة للمشاركة. فإن ما تقوله الأسفار المقدسة عن السمات الفكرية، والإرادية، والأدبية للوجود البشري قد شكّل محور المناقشات الأكاديمية عن كيفية مشابهة الله لخليقته.

الآن وقد تحدثنا بإيجاز عن الأسس الكتابية لاستكشاف كيفية مشابهة الله لنا، يمكننا أن نتجه إلى الفكرة الرئيسية الثانية: وهي وجهات النظر اللاهوتية في هذا الموضوع، تلك التي نشأت في اللاهوت النظامي الرسمي.

وجهات النظر اللاهوتية

إن معرفتنا بالطرق المختلفة التي يُعلمنا بها الكتاب المقدس بأن الله مثل خليقته هي شيء. لكن، وكما سنرى في الحال، استيعابنا لكيفية بناء علماء اللاهوت النظامي على هذه الأسس الكتابية هو شيء آخر تماماً. فقد سعى علماء اللاهوت تقليدياً، بأقصى دقة ممكنة، إلى تحديد كيف أن كمالات الله، غير المحدودة، والسرمدية، وغير المتغيرة، هي قابلة للمشاركة. ولكي يقوموا بهذا، طرحوا بعض الأسئلة المحورية. على سبيل المثال، ما هي هذه الصفات؟ وكيف تنعكس في الخليقة، وخاصةً في البشر؟ وما هي أفضل وسيلة لصياغة وجهات نظر مترابطة منطقياً عن هذا الجانب في العقيدة عن الله؟

تُوجدُ عدة طرائق لوصف وجهات النظر اللاهوتية هذه بشأن صفات الله القابلة للمشاركة. لكننا سنتناول فقط أربعة موضوعات. أولاً، سنلخص اثنين من الإجراءات التي اتبعتها علماء اللاهوت النظامي الكلاسيكيون في تناولهم لهذا الموضوع. وثانياً، سنقوم بالتركيز على عدة وثائق تاريخية تمثل التيار السائد من وجهات النظر البروتستانتية بشأن هذه الكمالات الإلهية. وثالثاً، سنستكشف ترتيب صفات الله القابلة للمشاركة في اللاهوت النظامي الكلاسيكي. ورابعاً، سنتناول عدة تطبيقات على هذه الآراء المنهجية. ولنبدأ بالإجراءات التي اتبعتها علماء اللاهوت النظامي.

الإجراءات

كما ذكرنا في درسٍ سابقٍ، إن واحدًا من أعظم التحديات التي تُواجه علماء اللاهوت النظامي هو أنّ التعاليم الكتابية عن صفات الله مبعثرة في جميع أنحاء الكتاب المقدس. فإن الكتاب المقدس لا يقدم لنا على الإطلاق قائمةً كاملةً ورسميةً لصفات الله، وهو لا يقوم قط بتعريفها أو شرحها على نحوٍ منهجيٍّ. وهكذا، ولكي يتم علماء اللاهوت النظامي مهمتهم، كان عليهم تمييز هذه الصور والألوان المتنوعة، وتركيبها وتجميعها إلى لوحاتٍ مركبةٍ، أو نوافذٍ ذات زجاج ملونٍ إن جاز التعبير. من ثمّ تمنحنا هذه "النوافذ" مفاهيمًا مترابطةً منطقيًا بشأن صفات الله القابلة للمشاركة. ولكي يُنشئ علماء اللاهوت النظامي هذه التركيبات، استخدموا بعض الإجراءات.

لسببٍ ضيق الوقت، سنتناول فقط اثنتين من الإجراءات العديدة التي اتبعتها علماء اللاهوت النظامي. أولاً، سنستعرض كيفية استخدامهم المصطلحات التقنية. وثانيًا، سنتناول كيفية التي بها قاموا بصياغة التصريحات اللاهوتية. لننظر الآن إلى استخدامهم المصطلحات التقنية.

المصطلحات التقنية

تستخدم الأسفار المقدسة مُتسَعًا من المفردات للإشارة إلى كمالات الله القابلة للمشاركة. وفي الحقيقة، عادةً ما استخدم كتبة الكتاب المقدس تعبيراتٍ مختلفة للإشارة إلى المفاهيم عينها. كما استخدموا أيضًا المصطلحات ذاتها في نصوصٍ مختلفة للإشارة إلى مفاهيمٍ مختلفة.

وهكذا، ولكي يُنشئ علماء اللاهوت تركيباتٍ وتوليفاتٍ أمينةً من التعاليم الكتابية عن صفات الله، قاموا بتبني مصطلحاتٍ تقنيةٍ. بمعنى آخر، هم اختاروا أن يستخدموا تعبيراتٍ معينةً، ونسبوا لهذه التعبيرات معانٍ خاصةً. وفي حال استخدم كل عالمٍ لاهوتٍ نظاميٍّ المصطلحات التقنية ذاتها بالطرق ذاتها تمامًا، لكانت المباحثات الأكاديمية عن صفات الله القابلة للمشاركة تصير أبسط بكثير. لكن هذا ليس هو الحال. على سبيل المثال، تحدّث بعض علماء اللاهوت عن "حكمة" الله باعتبارها قسمًا واسعًا يشمل "معرفة" الله. لكن لاهوتيين آخرين أصرّوا على التفرقة التامة بين "حكمة" الله و"معرفة" الله. وبطريقةٍ مماثلةٍ، أشار بعض علماء اللاهوت إلى "صلاح" الله باعتباره قسمًا واسعًا. وشملوا بداخله ما تُعلمه الأسفار المقدسة عن "نعمة" الله، و"رحمته"، و"محبته"، ومصطلحاتٍ أخرى

ذات صلةٍ بها باعتبارها تعبيراتٍ تعبرُ عن صلاحِهِ. لكن بعضَ علماءِ اللاهوتِ الآخرين قاموا بتعريفِ صلاحِ الله، ونعمته، ورحمته، ومحبيته بطرائقٍ محددةٍ للغاية.

لهذه الأسبابِ وأسبابٍ مشابهةٍ، من الهامِّ دائماً ألا نقلقَ بصورةٍ تزيدُ عن الحدِّ بشأنِ الكلماتِ المحددةِ التي يختارُ علماءُ اللاهوتِ النظاميِّ استخدامها. فإن غرضَ اللاهوتِ النظاميِّ الإنجيليِّ هو أن يوجزَ بأمانةٍ المفاهيمَ الموجودةَ في الكتابِ المقدسِ، وليس محاكاةً مفرداتِ الكتابِ المقدسِ المختلفةِ. ويمكنُ التعبيرُ عن المفاهيمِ الكتابيةِ عن الله بمختلفِ المصطلحاتِ التقنيةِ.

قام علماءُ اللاهوتِ بوصفِ، أو بترتيبِ صفاتِ الله بعدةِ أساليبٍ متنوعةٍ. وفي الحقيقة، يُعدُّ كلُّ هذا مجردَ وسيلةٍ لفهمِ مَنْ هو الله بصورةٍ أفضلٍ. فحينَ نتحدثُ عن صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ - أي صفاتِ مثلِ المحبةِ، والصدقِ، وصفاتِ أخرى، فإنَّ بعضَ القوائمِ التي يضعُها البعضُ تكونُ صغيرةً، والبعضُ الآخرُ كبيراً.

لكن في ظلِّ كلِّ هذه الوسائلِ المختلفةِ، السؤالُ البسيطُ هو: ما هي الأشياءُ التي مِنْ المفترضِ أن يكونَ عليها البشرُ، أو مِنْ المفترضِ أن يفعلوها، في تشابهِ مع الله وأعماله؟

— ق. فيرمون بيير

بالإضافة إلى إجراءِ استخدامِ مصطلحاتٍ تقنيةٍ بأساليبٍ مختلفةٍ، علينا أيضاً أن نسلطَ الضوءَ على الكيفيةِ التي بها استخدمَ علماءُ اللاهوتِ النظاميِّ التصريحاتِ اللاهوتيةَ لشرحِ كيفيةِ مشابهةِ الله لنا.

التصريحاتِ اللاهوتية

تُعدُّ التصريحاتِ اللاهوتيةُ أحجارَ البناءِ الرئيسيةَ لكلِّ جانبٍ من جوانبِ اللاهوتِ النظاميِّ. وبوجهِ عامٍّ، التصريحُ اللاهوتيُّ هو عبارةٌ تؤكدُ بصورةٍ مباشرةٍ بقدرِ الإمكانِ طرْحاً لاهوتياً واقعيّاً واحداً على الأقلٍ. يبدو هذا التناوُلُ المباشرُ والتصريحُ لصفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ بسيطاً بما يكفي، ولكن تُعلنُ الأسفارُ المقدسةُ صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ بعدةِ أساليبٍ أدبيةٍ مختلفةٍ مثل: القصةِ، والشعرِ، والشريعةِ، والنبوةِ، والرسائلِ، وما إلى ذلك. وكلُّ أسلوبٍ من هذه الأساليبِ الأدبيةِ له طرائقُ مختلفةٌ للتعبيرِ عن حقائقِ عن الله. وهكذا، فلِكَي يقدمَ علماءُ اللاهوتِ النظاميِّ هذه التعاليمَ الكتابيةَ

بصورة متماسكة منطقياً، كان عليهم استخلاص تصريحات لاهوتية من كل أسلوب أدبي كتابي. تُعدُّ عملية استخلاص تصريحات لاهوتية من بعض النصوص الكتابية أسهل من استخلاصها من نصوص أخرى. على سبيل المثال، تحتوي الأسفار المقدسة على عدة أطروحات موجودة بالفعل في صورة تصريحات عن كمالات الله. فإن نشيد داود الشعري في المزمور 34: 8 يقول "ما أطيب الرب!" وفي 1 يوحنا 4: 8، نقرأ أن "الله محبة". هذه الأنواع من التصريحات الكتابية تلائم جيداً المباحثات اللاهوتية المنهجية حول صفات الله القابلة للمشاركة.

تُقدم بعض النصوص الكتابية الأخرى ما يُعدُّ أوصافاً مباشرة عن الله. على سبيل المثال، في سفر إشعياء النبوي، في 1: 4، نجد أن الله يُوصف بأنه "القدوس". وليس من الصعب أن نرى كيف حول علماء اللاهوت النظامي هذا الوصف إلى التصريح البسيط: "الله قدوس". وفي أسلوب الشريعة الأدبي في سفر التثنية 7: 9، يُوصف الله بأنه "الإله الأمين". بكلمات أخرى: "الله أمين".

لكن لا تلائم جميع النصوص الكتابية اللاهوت النظامي المنهجي بهذه السهولة. فحين نتعامل مع القصص الكتابية، يمكننا في كثير من الأحيان أن نستخلص عدة عبارات تصريحية مختلفة من القصة ذاتها. على سبيل المثال، تُبين قصة الخلق في سفر التكوين 2 أن "الله قدير"، وأن "الله حكيم"، وأن "الله صالح". أما قصة سدوم وعمورة في سفر التكوين 9، فهي تُبين أن "الله قدوس"، وأن "الله رحيم" وأن "الله عادل". فكل قصة كتابية قد أتاحت لعلماء اللاهوت النظامي فرصاً لاستخلاص تصريحات مختلفة عن صفات الله القابلة للمشاركة.

كما نرى أيضاً صفات الله القابلة للمشاركة في مواضع اعتمد فيها الكتاب المقدس بشدة على الصور البلاغية مثل الاستعارات، والتشبيهات، والمقارنات. وهذا يظهر بصورة خاصة في الشعر الكتابي. على سبيل المثال، تتحدث نصوص شعرية مثل المزمور 89: 26، ونصوص نبوية مثل سفر إشعياء 64: 8، عن الله باعتباره "أباً" - وهي صورة تخبرنا بعدة أشياء مختلفة عن الله. لكن بدلاً من استخدام علماء اللاهوت النظامي لهذه الصورة المتشعبة عن الله باعتباره "أباً"، كانوا أكثر ميلاً لتصريحات مباشرة وصريحة مثل "الله صالح".

كما تُصوّر نصوص شعرية مثل المزمور 24: 8 وسفر الخروج 15: 3، بالإضافة إلى نصوص قصصية مثل سفر يشوع 23: 10 الله باعتباره محارباً. إلا أن علماء اللاهوت النظامي عادة ما قاموا بتضييق بؤرة تركيزهم إلى تصريح مثل "الله قوي". وبناءً على نصوص شعرية مثل المزمور 118: 27، 1 يوحنا 5: 1، يمكننا أن نقول إن "الله نور". لكن علماء اللاهوت النظامي كانوا أكثر ميلاً لترجمة هذه الاستعارة إلى تصريح مثل "الله ظاهر أدبياً".

يمكننا أن نرى أن صوراً تشبيهية كهذه تُعلُن أن الله مثل خلقته. ومن عدة نواحٍ، يُعدُّ استخدام اللغة المجازية إثراءً لدراساتنا لصفات الله القابلة للمشاركة. لكن كان علماء اللاهوت النظامي أكثر تركيزاً على تقديم هذه الحقائق عينها عن الله في صورة تصريحات لاهوتية صريحة ومباشرة. وبهذا، استطاعوا تكوين تعاليم مترابطة منطقياً عن صفات الله القابلة للمشاركة.

يركز سؤال المنهجية اللاهوتية على الكتاب المقدس لأنه هو المصدر الرئيسي والسلطة المطلقة، أو هو المعيار، لكلٍ لاهوتياً. وهكذا، فحين نتجه إلى الكتاب المقدس، فإننا دائماً ما نحاول أن نطرح سؤالاً، وهو السؤال اللاهوتي للكتاب المقدس: ما هو الشيء الذي نتعلمه هنا؟ حين نفعل هذا، فيما نتوغل داخل الكتاب المقدس، فإن ما نجد في الحال هو أن الكتاب المقدس ليس دليلاً للاهوت النظامي، أو أي شيء من قبيل هذا. فإن الكتاب المقدس له هيكل قصصي عام، كما أن الكثير منه جاء في صورة قصصية بالمعنى الدقيق. كما نجد في الكتاب المقدس أيضاً المزامير، والأمثال، وأساليب أدبية أخرى كثيرة. وهكذا نحن نقف أمام أسئلة تفسيرية هامة: كيف تنتقل من فهم النص كما هو مُعطى لنا، إلى أنواع العقائد، مستخلصين التعليم من النص بحيث يصير نافعاً للصياغة والحجة اللاهوتية؟ بالتأكيد توجد في الكتاب المقدس تصريحات مباشرة للغاية عن الله. لكن أيضاً الكثير من التعاليم اللاهوتية المقدمة لنا في الكتاب المقدس تستلزم حقاً العمل للوصول إلى ذلك النوع من الاستنتاجات المؤسس على المكتوب. ولا بد لنا، كي نفهم النص بصورة صحيحة بحسب سماته، أن نستخدم بعض المبادئ التفسيرية الأساسية. وحين نفعل هذا، يمكننا أن ننظر من خلال هذه النافذة إلى من هو الله.

— د. بروس بوجوس

بعد تناولنا لبعض الإجراءات التي قامت بتشكيل وجهات النظر اللاهوتية عن صفات الله القابلة للمشاركة، سيفيدنا أن نتناول بعض الوثائق التاريخية التي تمثل الكيفية التي بها أوجز الإنجيليون هذا الجانب من العقيدة عن الله.

الوثائق التاريخية

لو تفقدنا أعمال علماء اللاهوت الإنجيليين البارزين، سيّضح سريعاً أن آراءهم عن صفات الله القابلة للمشاركة عادةً ما تكون متشابهة للغاية. يُمكننا الإشارة إلى أي عدد من القوائم التي استخدمها المسيحيون عبر تاريخ الكنيسة، للتعبير عن كيفية مشابهة الله لنا. لكن لأجل تبسيط الأمر، سنتناول الوثائق التاريخية الثلاثة التي ذكرناها عدة مرات في هذه السلسلة. حيث تُمثل هذه الوثائق طرق شائعة، وُضع بها الإنجيليون ملخصات منهجية منظمة، عن كمالات الله القابلة للمشاركة.

سنستعرض هذه الوثائق التاريخية بالنظر أولاً إلى إقرار إيمان أوجسبرج الذي كُتب في عام 1530م. ثم بعد هذا سندرس إقرار الإيمان البلجيكي لعام 1561م. وأخيراً، سندرس دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز الذي كُتب في عام 1647م. ولنبدأ من إقرار إيمان أوجسبرج اللوثري.

إقرار إيمان أوجسبرج

ربما نتذكرون أن الفقرة الأولى من إقرار إيمان أوجسبرج تُوجز صفات الله على هذا النحو:

يُوجد جوهر إلهي واحد، وهو الله: سرمدّي، دون جسد، دون أجزاء، له قوة وحكمة
وصلاح غير محدودين.

تذكر هذه الفقرة أولاً عناصر تم تعريفها عادةً بكونها صفات الله غير القابلة للمشاركة – أي كيفية اختلاف الله عن خليقته. إلا أن الإقرار يذكر أيضاً قوة، وحكمة، وصلاح الله. هذه الصفات الثلاثة يتم تعريفها بأنها صفات قابلة للمشاركة، أي نواح فيها يُشبه الله خليقته، وبالأخص البشر. لقد وهب الله الخليقة كلاً من هذه الكمالات، لكن بدرجة أقل. وتُعلم نصوص مثل المزمور 68: 34، 35 أن الله يملك القوة، وأنه قد وهب خليقته قوة مشابهة، ولكنها أدنى. كما تُعلم نصوص مثل دانيال 2: 20، 21 أن الله يملك الحكمة، ولكنه وهب البشر درجة معينة من الحكمة. كما تُشير نصوص مثل المزمور 119: 68 و 2 بطرس 1: 3-5 أن الله صالح، لكنه أيضاً قد وضع الصلاح

في خَلْقِهِ. وهكذا، وبناءً على تعاليم الكتاب المقدس، يمكننا بحق أن نقول إن قوة الله، وحكمته، وصلاحة، هي جميعها صفات قابلة للمشاركة.

وبعد تناولنا لقائمة صفات الله القابلة للمشاركة الموجودة في إقرار إيمان أوجسبرج، دعونا نتحول إلى الوثيقة التاريخية الثانية، وهي إقرار الإيمان البلجيكي، ونتذكر كيف يقدم لنا صفات الله.

إقرار الإيمان البلجيكي

في الفقرة الأولى من إقرار الإيمان البلجيكي نقرأ هذه الكلمات:

يُوجدُ كائنٌ واحدٌ وحيدٌ، بسيطٌ وروحيٌّ، ندعوه الله ... وهو سرمدِيٌّ، غيرُ مُدرِكٍ، غيرُ منظورٍ، ثابتٌ، غيرُ محدودٍ، وقديرٌ، وكاملُ الحكمةِ، والعدلِ، والصلاحي، وهو النبعُ الفائضُ لكلِّ صلاحٍ.

تُوجزُ هذه الفقرة من إقرار الإيمان البلجيكي صفات الله في عشرة مصطلحات. المصطلحات الست الأولى تتعلق بصفات الله غير القابلة للمشاركة. أما الصفات الباقية - قديرٌ، كاملُ الحكمةِ، والعدلِ، والصلاحي - فهي تتعلق بصفات الله القابلة للمشاركة.

يذكر إقرار الإيمان البلجيكي، مثله مثل إقرار إيمان أوجسبرج، أن الله قديرٌ، أي أنه يملك قوةً؛ وأنه حكيمٌ، وصالحٌ. لكنه يضيف أيضًا صفةً أخرى حين يقول إن الله عادلٌ أو "بارٌ"، كما يمكن أن تُترجم. وتأييدًا من الكتاب المقدس لهذه الصفة القابلة للمشاركة، يتحدث كثيرًا عن الله على أنه عادلٌ أو بارٌ في مواضع مثل المزمور 7: 9. كما تُعلمُ نصوصٌ مثل هوشع 12: 6 ورسالة 2 تيموثاوس 3: 16 أن البشر يمكن أن يكونوا "عادلين" أو "أبرارًا" على مستوى بشريٍّ محدودٍ. وهكذا، فبالإضافة إلى القوة، والحكمة، والصلاحي، من الملائم بالطبع أن نحسب العدلَ صفةً قابلةً للمشاركة من صفات الله.

هذا يأتي بنا إلى الوثيقة التاريخية الثالثة كنموذج لنا. إن دليل وستمنستر المُوجز، مثله مثل إقرار إيمان أوجسبرج، وإقرار الإيمان البلجيكي، أيضًا يسردُ صفات الله القابلة للمشاركة.

دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز

تأتي الإجابة عن السؤال الرابع، "ما هو الله؟" في الدليل الموجز كالاتي:

الله روح، غير محدود، وسرمدي، وغير متغير، في كينونته، وحكمته، وقوته،
وقداسته، وعدله، وصلحه، وأمانته.

الكمالات السبع الأخيرة من هذه الكمالات الإلهية هي كمالات قابلة للمشاركة: كينونة الله،
وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلحه، وأمانته.

ينكر الدليل الموجز، مثله مثل إقرار إيمان أوجسبرج، وإقرار الإيمان البلجيكي، صفات
الحكمة، والقوة، والصلاح. كما أنه يعكس الضوء على إقرار الإيمان البلجيكي من خلال إضافته
لصفة العدل. إلا أن الدليل يضيف كينونة أو وجود الله، وقداسته، وأمانة أو صدق الله أيضًا. فإن
نصوصًا مثل سفر التكوين 1:1، وإنجيل يوحنا 1:3 تُوضح أن كينونة الخليقة أو وجودها أمر
ثانوي معتمد على وجود الله. لكن وجودنا أيضًا يُشبه الله في بعض النواحي. ووفقًا لنص رسالة
أفسس 4:24، تعدُّ القداسة صفةً من صفات الله تتعكس وتظهر في جوانب مختلفة من الخليقة، بما
في ذلك البشر. وفي نصوص مثل المزمور 25:5، لا تُعدُّ الأمانة أو الصدق من كمالات الله
فحسب، لكنها أيضًا تُمنح للبشر.

يُمكن لله أن يُنقل لنا بعض صفات كينونته، ومحبه، وأفته، وقداسته، وعدله.
وربما نجد الوصف الأبسط لهذا في دليل وستمنستر الموجز. "ما هو الله؟ الله
روح، وغير محدود، وسرمدي، وغير متغير" - هذه الصفات غير القابلة للمشاركة
- ثم التكملة "في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلحه، وأمانته".
وتلك هي صفات الله القابلة للمشاركة. ويمكننا الاشتراك معه في تلك الصفات
الأخيرة، لكن ليس لنا أن نكون غير محدودين، أو سرمديين، أو غير متغيرين.
بالتأكيد، نحن نُجده من أجل عظمته غير المحدودة، والسرمدية، وغير المتغيرة،

التي لا نشتركُ نحنُ فيها، كما نمجدهُ لأجلِ سماحهِ لنا بالاشتراكِ في صفاته، فيما يتعلقُ بكيونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته.

— د. ساندرز ويلسون

تمثلُ هذه القوائمُ وجهاتِ النظرِ الإنجيليّة البروتستانتية بشأنِ هذه الأمور. لكن لا بدّ أن نُضيفَ أنّ هذه الوثائقُ لا تحتوي على كلّ صفةٍ قابلةٍ للمشاركةِ نسبها علماءُ اللاهوتِ لله. فقد أشارَ أفرادٌ مختلفونَ من علماءِ اللاهوتِ إلى صفاتٍ أخرى قابلةٍ للمشاركةِ أيضًا. على سبيلِ المثال، وكما ذكرنا فيما سبق، من الشائع أن نرى معرفةَ اللهِ ضمنَ الصفاتِ القابلةِ للمشاركةِ. وفي نصوصٍ مثلَ رسالةِ كولوسي 1: 10، نجدُ أن كلاً من اللهِ والبشرِ يُبديانِ معرفةً. كما أن رحمةَ اللهِ غالبًا ما تُحسبُ ضمنَ هذه الفئةِ من الكمالاتِ الإلهيةِ لأن الكتابِ المقدسِ يُوضِّحُ، في مواضعٍ مثلَ إنجيلِ لوقا 6: 36، أن كلاً من اللهِ والبشرِ رُحماءُ. وبالتأكيد، يشدّدُ الكتابُ المقدسُ أيضًا على كونِ محبةِ اللهِ صفةً قابلةً للمشاركةِ في نصوصٍ مثلَ سفرِ التثنية 7: 9.

بعدَ أن نظرنا إلى الإجراءاتِ التي اتبعتها علماءُ اللاهوتِ، وأيضًا إلى نماذجِ عديدةٍ من الوثائقِ التاريخيّة، لنتجّه إلى جانبٍ ثالثٍ من وجهاتِ النظرِ اللاهوتيّةِ عن صفاتِ اللهِ القابلةِ للمشاركةِ وهو: ترتيبُ هذه الصفاتِ في علمِ اللاهوتِ النظاميِّ.

الترتيب

كما رأينا، قامت نماذج مختلفة من الوثائق التاريخيّة، وقادة علماء اللاهوت، بسرد صفاتِ اللهِ القابلةِ للمشاركةِ بطرقٍ مختلفة. وللأسف، كثيرًا ما يدفع هذا التنوعُ الدارسين عديمي الخبرة إلى الحيرة حول أي من هذه القوائم هي الصحيحة. لكن في حقيقة الأمر، يوجد ترتيب أساسي لصفاتِ اللهِ القابلةِ للمشاركةِ. وهذا الترتيب المنطقي يساعدنا على رؤية أن هناك في الواقع مساحة كبيرة من الوحدة بين الإنجيليين، حول كيفية مُشابهةِ اللهِ لنا.

رأينا سابقًا في هذا الدرس أن البشرَ يمتازون بكونهم مثلَ اللهِ أكثرَ من أيةِ خليقةٍ أخرى. ولهذا، يصفُ الكتابُ المقدسُ اللهَ كثيرًا بمفرداتِ الصفاتِ والخصائصِ البشريّة. ومن عدةِ نواحٍ، كان هذا التركيزُ الكتابيُّ على أوجهِ التشابهِ بين اللهِ والبشريّةِ محوريًا لأجلِ ترتيبِ صفاتِ اللهِ القابلةِ للمشاركةِ في اللاهوتِ النظاميِّ.

قام علماء اللاهوت النظامي على مدى قرون، وفي قوانين إيمان، وإقرارات إيمان، وما شابه ذلك، بترتيب صفات الله القابلة للمشاركة بعدة طرق مختلفة. لكن بوجه عام، حين تُلقَى نظرة على هذا الترتيب، وتبدأ في طرح أسئلة عن سبب وجود هذه الصفة في المقدمة، وهذه في المقام الثاني، وهذه في الثالث، فإن المبدأ الرئيسي الذي تراه يظهر مرة تلو الأخرى بطرق مختلفة هو أن البشر قاموا بترتيب صفات الله القابلة للمشاركة وفقاً للطرق التي يفهمون بها من هم البشر. والسبب في هذا هو أننا صورة الله وشبهه، وصفات الله القابلة للمشاركة هي النواحي التي يُشابهنا الله فيها. فالكتاب المقدس لا يُقدم لنا قائمة بصفات الله القابلة للمشاركة. لكننا نستخلصها من النصوص الكتابية، وهكذا فحين تُستخدم الصلة أو التشابه بين الله والبشر كوسيلة للتفكير في صفات الله، فإن ما تعتقده عن البشر يؤثر على ترتيبك لما تفعله.

— د. ريتشارد ل. برات، الابن.

نعلم جميعاً أن العلوم الحديثة، مثل علم الأحياء، وعلم الإنسان، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، قد قدمت طرائق مختلفة كثيرة لفهم ما يعنيه أن تكون إنساناً. بعض وجهات النظر الحديثة هذه لديها الكثير لتقدمه؛ وأخرى تسيء تفسير الطبيعة الحقيقية للبشرية. لكن، كما ذكرنا سابقاً، فإن اللاهوت النظامي الكلاسيكي قد قام بالتركيز على ثلاث نواحي رئيسية فيها يُشبه البشر الله على نحو فريد: إمكاناتنا الفكرية، وقدراتنا الإرادية، وطبيعتنا الأدبية. هذا التحليل الثلاثي لما يعنيه أن تكون مخلوقاً على صورة الله قد أثر بشدة على كيفية ترتيب علماء اللاهوت النظامي لصفات الله القابلة للمشاركة.

بوجه عام، يُمكن تقسيم جميع كمالات الله القابلة للمشاركة إلى ثلاثة أقسام كبرى من الصفات الإلهية التي تتوافق مع نواحي مشابهة البشرية لله: صفات الله الفكرية، وصفاته الإرادية، وصفاته الأدبية.

يمكننا أن نرى بسهولة كيف تتماشى حكمة، وقوة، وصلاح الله المذكورة في الفقرة الأولى من إقرار إيمان أوجسبرج مع هذه الأقسام الثلاثة الكبرى. فإن الحكمة تتناول فكر الله، وتمثل صفات الله الفكرية. كما تتعلق القوة بإرادة الله وتمثل صفات الله الإرادية. أما الصلاح فهو يتعلق بصفات الله الأدبية.

والشيء ذاته تقريبًا يمكن أن يقال عن الصفات الأربعة القابلة للمشاركة المذكورة في إقرار الإيمان البلجيكي. فإن لفظة الحكمة تقع ضمن صفات الله الفكرية. أما لفظة قدير فهي تمثل صفات الله الإرادية. وتمثل كلمة العدل والبر، والصلاح صفات الله الأدبية.

وبالمثل، تتبع الإجابة الرابعة من دليل وستمنستر الموجز نمطًا مشابهًا. فبعد ذكر الصفة غير المعتادة إلى حد ما لكيونة الله أو وجوده، تمثل الحكمة صفات الله الفكرية. وتمثل القوة صفات الله الإرادية. كما تشمل صفات الله الأدبية قداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته.

توضح هذه الملاحظات أنه على الرغم من عدم تطابق هذه الوثائق التاريخية، إلا أنها لا تمثل وجهات نظر مختلفة تمامًا الاختلاف بعضها عن بعض. فبالرغم من تنوعها، لكنها جميعها تسلط الضوء على كمالات الله القابلة للمشاركة المؤسسة على ثلاث خصائص رئيسية يشترك فيها الله والبشر باعتبارهم صورة الله.

يساعدنا هذا الترتيب الثلاثي أيضًا على تقييم الاقتراحات المختلفة التي قدمها علماء اللاهوت كأفراد. على سبيل المثال، نعد إضافة معرفة الله إلى حكمة الله مجرد وسيلة للتمييز بين جانبين من صفاته الفكرية. أما إضافة لفظة السيادة إلى المصطلح الأقدم قوة، فهي تعد تمييزًا بين جانبين من صفات الله الإرادية. وأيضًا تعد إضافة كلمات مثل الرحمة والمحبة، تمييزًا بين صفات الله الأدبية المختلفة.

في ضوء هذا، يمكننا القول عن يقين إنه توجد وحدة ملحوظة في اللاهوت النظامي الإنجيلي حول ما ينبغي اعتباره صفةً لله قابلةً للمشاركة. وبالرغم من إمكانية الاستفاضة دائمًا في تفسير وشرح هذه الكمالات بطرائق مختلفة، لكن، مع وجود استثناءات نادرة، تمثل صفات الله القابلة للمشاركة إلى أن تقع ضمن الأقسام الكبرى ذاتها لصفات الله الفكرية، والإرادية، والأدبية.

الآن وقد تناولنا وجهات النظر اللاهوتية المختلفة بشأن صفات الله القابلة للمشاركة عن طريق النظر إلى الإجراءات التي اتبعتها علماء اللاهوت النظامي، وإلى نماذج متعددة من الوثائق التاريخية، وإلى الترتيب المنطقي لهذا الجانب من العقيدة عن الله، لا بد الآن أن نتحول إلى فكرة رابعة - أي بعض التطبيقات العملية على وجهات النظر اللاهوتية هذه.

التطبيقات

هناك عدة طرائق يمكننا بها استكشاف التطبيقات العملية لصفات الله القابلة للمشاركة. لكن لتبسيط الأمر، سنتناول اتجاهين فقط. أولاً، سنتطرق إلى توقعاتنا عن الله. وثانياً، سنتحدث عن اقتدائنا بالله. ولنبدأ بأنواع التوقعات التي لا بد أن تكون لنا عن الله حين نفكر في صفات الله القابلة للمشاركة.

التوقعات عن الله

للأسف، عندما يتعلم الكثير من أتباع المسيح أصحاب النوايا الحسنة عن صفات الله القابلة للمشاركة، غالباً ما يُسيئون تفسير الكيفية التي تصرف بها الله في الأزمنة الكتابية، ويخلقون توقعات خاطئة عن الكيفية التي يتصرف بها الله في حياتهم اليوم. إن صفات الله هي دائماً صحيحة بالنسبة له. فهي لا تظهر ثم تختفي. وهي لا تتغير إطلاقاً. لكن هذا لا يعني أن جميع صفات الله القابلة للمشاركة واضحة للجميع في كل لحظة من كل يوم. وكما تُبين أمثلة كتابية لا حصر لها، فإن الله نفسه لا يعتريه تغيير، وما يفعله في حياتنا لا يتناقض إطلاقاً مع طبيعته. لكن في نفس الوقت، لا يمكننا التنبؤ بدقة عن كيفية تصرف الله في أية لحظة في التاريخ، وذلك لأنه يُظهر صفاته بطرق كثيرة ومختلفة.

نحتاج، كي نكون توقعات كتابية عن الله، أن نضع في اعتبارنا تمييزاً ذكرناه عدة مرات في هذه السلسلة – أي التمييز بين صفات الله واستعلاناته التاريخية.

كما رأينا فيما سبق، إن جميع صفات الله، بما في ذلك صفاته القابلة للمشاركة، هي صفات غير محدودة بالزمان، ولا يعترها أي اختلاف. لكن فيما يتعامل الله مع خليقته المحدودة، والزمنية، والمتغيرة، يستعلن صفاته بطرائق مختلفة في أوقات مختلفة. بعض هذه الاستعلانات يمتد عبر فترات زمنية كبرى. والبعض منها يظهر فقط في بعض المواضع، وفي بعض الأحيان. إلا أن الإعلان العام وسجل التاريخ الكتابي يُعلنان بوضوح أن الله يُظهر صفاته بطرائق لا يمكن التنبؤ بها قط على نحو كامل.

فكّر في صحة هذا فيما يتعلّق بجميع الأقسام الكلاسيكية الثلاثة لصفات الله القابلة للمشاركة. فإن صفات الله الفكرية دائماً صحيحة عنه. فهو دائماً كليّ العلم والحكمة. لكن الله أحياناً

يُظهرُ علمه وحكمته بوضوحٍ في التاريخِ الكتابيِّ وفي حياتنا اليوم؛ وفي أحيانٍ أخرى لا يفعلُ هذا. ولهذا تحدّثتُ بعضُ الشخصياتِ الكتابيةِ بفرحٍ عما أعلنه اللهُ لهم، بينما تلهّفَ آخرونَ على الحصولِ على قدرٍ أكبرَ منَ الفهمِ لفكرِ الله.

وعلى النحوِ ذاته، لا تختلفُ صفاتُ اللهِ الإراديةُ قطُّ. فهو دائماً قويٌّ. لكن طوالَ التاريخِ الكتابيِّ، وفي حياتنا أيضاً، يُظهرُ اللهُ أحياناً قدرًا كبيراً من قوته، وفي أحيانٍ أخرى لا يفعلُ هذا. ولهذا أحياناً هتفتُ شخصياتٍ كتابيةً بالتمجيدِ والحمدِ لأعمالِ اللهِ القديرة، لكن في أحيانٍ أخرى صرخوا إلى اللهِ كي يُظهرَ قوتهُ إذ كانوا يُقاسونَ تحتَ طغيانِ أعدائهم.

والشيءُ ذاتهُ ينطبقُ على صفاتِ اللهِ الأدبيةِ غيرِ المتغيرة. فإن الله دائماً هو صالحٌ، وقدسٌ، وعادلٌ، وصادقٌ، ومحَبٌّ، ورحيمٌ، ورؤوفٌ. لكن التاريخِ الكتابيِّ وخبرتنا البشريةِ الخاصة لا تتركُ أيّ ذرةٍ من الشكِّ في كونِ اللهِ يُظهرُ بوضوحٍ هذه الصفاتِ الأدبيةِ بوسائلٍ وطرائقٍ مختلفةٍ. في بعضِ الأحيان، كان صلاحُه واضحاً أمام أعينِ الجميع. لكن في أحيانٍ أخرى، يصعبُ تمييزُ هذا الصلاحِ. ولهذا قدمتِ العديدُ من الشخصياتِ الكتابيةِ الشكرَ لأجلِ البركاتِ التي حصلوا عليها، بينما نأخِ آخرونَ لأجلِ الضيقاتِ والتجاربِ التي قاسوها.

كما تُبينُ لنا هذه الاختلافاتُ، يُعدُّ تمييزُ صفاتِ اللهِ القابلةِ للمشاركةِ عنِ الطرقِ التي بها يُظهرُ هذه الصفاتِ في التاريخِ أمراً محورياً كي تكونَ لنا التوقعاتُ الصحيحةُ عن اللهِ.

أعتقدُ أنّ مسألةَ القدرةِ على تمييزِ حكمةِ اللهِ، ومحبتِهِ، وقوته، أي الأشياءِ التي في الخليقةِ، هي بوجهٍ عامٍّ مشكلةٌ منظورٍ بشريٍّ أكثر من كونها مشكلةُ اللهِ نفسه. وأحدُ الأشياءِ التي تساهمُ في تذكيري بهذا في الكتابِ المقدسِ، والتي أحتاجها بشدة، تأتي في مزمور 73، حيث يبدأ الكاتبُ بحزبه لأجلِ ازدهارِ الأغنياءِ والأشرارِ، وشيءٍ من هذا القبيل، مثل "أنا أحاولُ أن أحيَا لك، لكنني أتأدبُ طوالَ الوقتِ". لكن بعد هذا تأتي نقطةُ التحولِ نحوَ مُنتصفِ المزمورِ حيث يقولُ: "وظلتُ هذه الأشياءُ تُحيرني حتّى دَخَلْتُ مَقَادِسَ اللهِ، وَأَنْتَبَهْتُ إِلَى آخِرَتِهِمْ". ويتحدثُ أغسطينوسُ، على سبيلِ المثالِ، عن الحاجةِ لشفاءِ النفسِ، وأنَّ الخطيةَ قد أفسدتنا كثيراً، حتى أننا نفكرُ، ونعملُ، وندركُ الأشياءَ بصورةٍ مشوهةٍ لأن نفوسنا تحتاجُ إلى شفاءٍ من اللهِ. و فقط حينَ يعملُ اللهُ فينا، نتمكنُ حقاً من إدراكِ الأشياءِ وتفسيرها بصورةٍ سليمةٍ. وهكذا فإنَّ المشكلةَ لا تكمنُ في اللهِ، بل في

إدراكنا نحن. وكل ما يمكن أن أقوله هو أنه كلما ازداد اقتراب الشخص من الله، يبدأ في أن يرى بوضوح كيف تنكشف صفات الله المثالية وأعماله. المشكلة لا تكمن في الله، بل فينا نحن.

— د. بروس ل. فيلدر

إنَّ التطبيقات العملية لصفات الله القابلة للمشاركة لا تمس فقط توقعاتنا عن الله. بل هي تُشيرُ أيضًا إلى أهمية اقتدائنا بالله.

الاقتداء بالله

لا يدعونا الكتاب المقدس إطلاقاً إلى محاولة الاقتداء بصفات الله غير القابلة للمشاركة أو التشبه بها. فهو لا يشجعنا على أن نكون غير محدودين، أو سرمديين، أو غير متغيرين. بل على العكس، يدعونا الكتاب المقدس إلى أن ننزع في سُجودٍ وعبادة لله لأنه مختلف بشكلٍ عجيب جداً عنا في هذه النواحي. لكن التطبيقات العملية لصفات الله القابلة للمشاركة تسير في اتجاه مختلف. بالطبع، ينبغي أن نعبد الله ونحبه لأجل هذه الكمالات. ولكن يدعونا الكتاب المقدس مراراً وتكراراً إلى الاقتداء بصفات الله القابلة للمشاركة.

على سبيل المثال، قال يسوع في إنجيل لوقا 6: 36:

فَكُونُوا رَحَمَاءَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ (لوقا 6: 36).

هنا، قال يسوع لتلاميذه أن يقتدوا برحمة الله. ووضع أمامهم المعيار لما ينبغي أن تكون عليه رحمة الإنسان. فهي لا بد أن تُشابه الصفة الأدبية لرحمة الله. أيضًا أعطى بولس تعليماتٍ مماثلةً في رسالة أفسس 4: 32 حين كتب:

وَكُونُوا لَطْفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ. فَإِنَّ الْاِقْتِدَاءَ بِصَلَاحِ اللَّهِ فِي لُطْفِهِ، وَشَفَقَتِهِ هُوَ مَعْيَارُ الصَّلَاحِ لِجَمِيعِ تَابِعِي الْمَسِيحِ (أفسس 4: 32).

بالمثل، تقول لنا رسالة 1 بطرس 1: 15-16:

بَلْ نَظِيرَ الْقُدُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قَدِيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قَدِيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُوسٌ» (1 بطرس 1: 15-16).

هنا فسر الكاتب الدعوة المتكررة للقداسة الموجودة في سفر اللاويين على أنها دعوة للتشبه

بالله.

يُعدُّ الكتاب المقدس واضحًا بشأن كون الله قدوساً، وفي رسالة بطرس الأولى ندعى كي نكون قديسين لأنه هو قدوس. كان راعي كنيسة يقول لي إننا الوحيدون الذين يمكننا أن نعكس هذه الطبيعة من شخصية الله، التي هي قداسته. وهكذا، حين نكون قديسين، وحين نسلك في القداسة، وحين نترك الخطية، ونفصل عن العالم في هذا الشأن، فإننا حينئذ لا نعمل ما دعانا الله إلى عمله فحسب، ولا نرجع عن الخطية لأنه دعانا وطلب منا هذا فحسب، لكننا فعلياً نعكس سمة حيوية لله أمام الآخرين. وهكذا، يمكن للعالم أن ينظر إلينا، وحين يرى قداستنا، وتفردنا، يعرف تلك السمة ذات الأهمية العظمى في طبيعة الله. وهكذا أعتقد كتابياً أننا لا بد أن نكون قديسين لأنه قدوس، وهذا ليس كي نرضي الرب فحسب، بل كي نعكس طبيعته.

— د. مات كارتر

يدعو الله شعبه، في كل من العهدين القديم والجديد، إلى أن يكونوا قديسين كما أنه هو قدوس، وهكذا فإن قداسة الله شيء له أهمية عملية ضخمة بالنسبة لشعب الله في كل عصر. وتتضمن القداسة شيئين على الأقل. فهي من جانب تعني "الانفصال عن" شيء ما، وفي هذه الحالة تعني الانفصال عن الخطية. وهكذا فإننا كشعب الله مدعوون لقطع علاقتنا بالخطية. لكن، من جانب آخر، تعني القداسة إيجابياً أن نقتدي بالله أدبياً، أي نكون مثله فقط إلى الحد الذي يمكن به لأي مخلوق أن يكون مثل الله. وهكذا، فإننا نجاهد في كل ما نفعله،

وفي أي مكان يضعنا الله فيه، وفي كامل نطاق علاقاتنا، ووظائفنا، وأنشطتنا، كي نكون مثل الله، ونشابه طبيعته، في كل ما نقوله ونفعله.

— د. جاي ووترز

من جهة الثلاثة الأقسام الرئيسية لصفات الله القابلة للمشاركة، ينبغي أن تتفق أذهاننا مع فكر الله، وأن تتفق إرادتنا مع إرادة الله، وأن تتفق طبيعتنا الأدبية مع طبيعة الله الأدبية. لكن هنا علينا أن نحترس. كما رأينا فيما سبق، فإن الله يُظهر صفاته الفكرية، والإرادية، والأدبية بطرق متنوعة في تعامله مع خليقته. ومن عدة جوانب، ينبغي أن ينطبق الشيء ذاته على كل من يسعى للاقتداء بالله. فأن تكون أفكارنا مثل أفكار الله، فهذا يعني أشياء مختلفة في ظروف مختلفة. وكي نمارس إرادتنا مثل الله، لا بد أن نتصرف بطرق مختلفة في أوقات مختلفة. وكي نعكس طبيعة الله الأدبية، فهذا يتطلب منا أن نحيا بصورة صحيحة في الأوقات الملائمة.

وهكذا، فإن شعب الله الأمناء لا بد أن يتعلموا كيفية الاقتداء بالله في ضوء كل ما أوصى به في الكتاب المقدس. فإن الكتاب المقدس يمدنا بتعليمات ووصايا لا حصر لها لإرشادنا في حياتنا اليومية. فإننا نتعلم كيفية إظهار حكمة الله في مختلف الظروف من خلال تنفيذ كل ما يعلمه الكتاب المقدس. ونتعلم كيفية الاقتداء بقوة الله في مختلف الظروف من خلال دراسة السبل الكثيرة التي نحن مدعوون بها لممارسة إرادتنا في طاعة الله. ونتعلم كيفية الاقتداء بصلاح الله في مواقف مختلفة من خلال الاهتمام بجميع الوصايا الأدبية للكتاب المقدس.

فإننا نخضع أنفسنا لتعاليم الكتاب المقدس المختلفة في يقين كامل بعمل الروح القدس في حياتنا، مُهيناً إيانا لليوم الذي فيه سنكون مشابهيين للمسيح بالكامل. كما نقرأ في رسالة 1 يوحنا الأولى 3: 32:

أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّ سَرَّاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُظْهَرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ (1 يوحنا 3: 32).

الخاتمة

في هذا الدرس، قُمنَا بالبحثِ في كيفية مشابهة الله لنا عن طريقِ دراسةِ صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ. ونظرنا إلى الأسسِ الكتابيةِ لهذا المسعى من خلالِ الطرقِ التي من خلالها قام كُتَبَةُ الكتابِ المقدسِ بتشبيهِ الله بخلِيقَتِهِ، وخاصةً بالبشرِ المخلوقينَ على صورَتِهِ. وبعدَ هذا، قُمنَا أيضًا بالبحثِ في كيفيةِ تكوينِ علماءِ اللاهوتِ النظاميِّ لبعضِ وجهاتِ النظرِ اللاهوتيةِ المنهجيةِ بشأنِ هذه الصفاتِ الإلهيةِ. كما لاحظنا الإجراءاتِ التي يتبعونها، ونماذجَ من القوائمِ الموجودةِ في بعضِ الوثائقِ التاريخيةِ، بالإضافةِ إلى ترتيبهم المنطقيِّ لصفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ، وفي النهايةِ بعضِ التطبيقاتِ العمليةِ لوجهاتِ النظرِ اللاهوتيةِ هذه لأتباعِ المسيحِ.

يختلف اللهُ اختلافاً كبيراً عن كلِّ جانبٍ من جوانبِ خَلِيقَتِهِ، بقدرِ صُعوبةِ فهمِ هذا الأمرِ. لكن كما رأينا في هذا الدرسِ، فهو أيضًا يُشَبِّهُنَا من جوانبِ عديدةٍ. وما رأيناهُ في هذا الدرسِ عن صفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ هو أكثرُ بكثيرٍ من مجردِ نظريةٍ. فعندما نستوعبُ هذا الجانبِ من عقيدةِ الله، نُدركُ من هو اللهُ بصورةٍ أكثرَ عمقاً. كما أننا ندركُ أيضًا بصورةٍ أكبرِ أي نوعيّةٍ من البشرِ يريدُنَا اللهُ أن نكونَ، في كلِّ يومٍ من أيامِ حياتِنَا.

د. ق. ثورمان ويليامز هو راعي راعي كنيسة شركة النعمة والسلام في سانت لويس، بولاية ميزوري. حصل د. ويليامز على درجة الماجستير من كلية تشيسابيك للاهوت والدكتوراة من كلية كفننت للاهوت. قبل انضمامه لكنيسة شركة النعمة والسلام، خدم د. ويليامز راعياً لكنيسة مجتمع الترنيمية الجديدة في بالتيمور، بولاية ميريلاند.

د. فودي باكام، الابن. هو عميد كلية اللاهوت بالجامعة المسيحية الأفريقية في زامبيا.

د. بروس بوجوس هو أستاذ مشارك للفلسفة واللاهوت بكلية اللاهوت المُصلحة.

د. مات كارتر قسيس للوعظ والرؤية بكنيسة المجتمع أوستن ستون في أوستن، تكساس.

د. بروس ل. فيلدز هو رئيس قسم اللاهوت الكتابي والنظامي وأستاذ مشارك للاهوت الكتابي والنظامي في كلية ترينتي الإنجيلية للاهوت.

د. جوش مودي هو الراعي الرئيسي في كنيسة كولدج في ويتون، إيلينوي.

د. ريتشارد فيليبس هو القس الرئيسي للكنيسة المشيخية الثانية في جرينفيل، ساوث كارولينا، ورئيس مؤتمر فيلادلفيا للاهوت المُصلح.

ق. فيرمون بيير هو القس القائد للوعظ والإرساليات في كنيسة المجتمع روزفلت في فينيكس، أريزونا.

د. ريتشارد برات، الابن هو رئيس خدمات الألفية الثالثة وأستاذ زائر للعهد القديم بكلية اللاهوت المُصلحة بأورلاندو.

ق. د. ستيفن تونج هو واعظ ولاهوتي صيني شهير، من الداعمين لحركة الكرازة المصلحة، ومؤسس لكل من خدمات ستيفن تونج الكرازية الدولية، والكنيسة الإنجيلية المصلحة وكلية اللاهوت في إندونيسيا.

د. جاي ووترز هو أستاذ العهد الجديد في كلية اللاهوت المصلحة.

د. ساندرز ويلسون هو القس الرئيسي في الكنيسة المشيخية الثانية في ممفيس، تينيسي، وعضو مجلس إدارة في كل من هيئة ائتلاف الإنجيل، وجامعة يونيون، وكلية اللاهوت المصلحة.

قائمة المصطلحات العسرة

الصفات غير القابلة للمشاركة: كمالات الله التي لا يمكن مشاركتها مع البشر (مثل: القدرة الكلية، العلم الكلي، الحضور الكلي، وغير المحدودية).

السيادة: مصطلح لاهوتي يشير إلى حكم الله المستمر وتحكمه المطلق في الخليقة.

التصريحات اللاهوتية: عبارة تؤكد بصورة مباشرة بقدرة الإمكان طرحًا لاهوتيًا واقعيًا واحدًا على الأقل.

via causalitatis: عبارة لاتينية تعني "طريقة السببية" أي التعلّم عن الله من خلال ملاحظة الأشياء الحسنة التي خلقها؛ وهي جزء من الاستراتيجية الثلاثية التي أسسها فلاسفة اللاهوت الأكاديميون في العصور الوسطى للبحث في اللاهوت الطبيعي.

via eminentiae: عبارة لاتينية تعني "طريقة التسامي" أي التعلّم عن الله من خلال ملاحظة كيف أن الله أسمى من مخلوقاته؛ وهي جزء من الاستراتيجية الثلاثية التي أسسها فلاسفة اللاهوت الأكاديميون في العصور الوسطى للبحث في اللاهوت الطبيعي.

via negationis: عبارة لاتينية تعني "طريقة التباين" أي التعلّم عن الله من خلال تباينه مع خليقته؛ وهي جزء من الاستراتيجية الثلاثية التي أسسها فلاسفة اللاهوت الأكاديميون في العصور الوسطى للبحث في اللاهوت الطبيعي.

إقرار إيمان أوجسبرج: إقرار الإيمان الرئيسي للكنيسة اللوثرية والذي كتبه المصلح الألماني فيليب ميلانكثون؛ وقد قُدّم لأول مرة في 25 يونيو 1530 في المجلس التشريعي في أوجسبرج.

إقرار الإيمان البلجيكي: إقرار الإيمان الذي كتبه المصلح جيدو دي بريس (Guido de Brès) في عام 1561 في هولندا؛ أحد المقاييس العقائدية للكنيسة المصلحة.

جون كالفن: (1509-1564) لاهوتي فرنسي ومصلح بروتستانتي رئيسي الذي كتب مبادئ الديانة المسيحية.

الصفات القابلة للمشاركة: كمالات الله التي يمكن مشاركتها مع الخليقة على نحو محدود (مثل: الحكمة، القوة، الصلاح).

الصفات الإلهية: كمالات جوهر الله المعلنة من خلال مظاهر تاريخية متنوعة.

العلة الأولى: مصطلح لاهوتي عن الله باعتباره الخالق والمسبب الرئيسي وراء كل شيء يحدث في التاريخ.

الاستعلانات التاريخية: الوسائل التي من خلالها اشترك الله بنفسه في كشف التاريخ الكتابي.

دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز: ملخص
بروتستانتية كلاسيكية للتعليم المسيحي، تم نشره عام
.1647